

جماعة أبولو

جماعة أبولو الشعرية هي أحد المدارس الأدبية الهامة في الأدب العربي الحديث مؤسسها هو الشاعر أحمد زكي أبو شادي الذي ولد في عام 1892م و ضمت شعراء الوجدان في مصر والعالم العربي، ومن روادها :إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وعلي العناني، وكامل كيلاني، ومحمود عماد، وجميلة العلايلي.. وجد هؤلاء الرومانسيون على اختلاف ابداعاتهم في صورة الحب الحزين والمحروم الذي ينتهي (اما بفراق واما بموت) معادلا موضوعيا لياسهم في الحياة وعجزهم الاقتصادي وعجزهم عن التصدي للواقع فكانت صورة الإنسان في أدبهم فرد سلبي حزين اذ نجد ذلك واضحا في أشعار إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ، وكانت المدرسة أقل اثارة للجدل من مدرسة الديوان لان جماعة الديوان هي اول المدارس خرقت قواعد نظم الشعر التقليدية في حين ان مدرسة ابولو ظهرت في مرحلة لاحقة مهدت لظهورها مدارس سبقتها .

ظروف النشأة

تشكلت هذه الجماعة في إحدى أصعب الفترات التاريخية وأقساها في تاريخ مصر الحديث لقد تهادن القصر والانجليز واتفقا أن يسلبا مصر من حق ديموقراطي أو دستوري واستطاعوا بمعاونة رئيس الوزراء محمد حمود ثم اسماعيل صدقي أن يوقفا الدستور ويعطلا الحياة النيابية ويقهرا كل رأي ويجهبضا أي محاولة للوقوف ضد استبداد الحكم وتبع ذلك الاستبداد السياسي والقهر الفكري خراب اقتصادي وظلم اجتماعي فادحين كما تأخرت حركة التعليم وتعثرت كثير من الصحف والمجلات والنوادي الثقافية.

وفي وسط هذا الاطار المتأزم والملتهب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ظهرت جماعة أبولو ما بين (1932-1935) وهذه الظروف القاسية والتكوينات الخاصة الحاملة دفعت بعض الشعراء وعلى رأسهم أحمد زكي أبو شادي لتكوين جماعة تنشر روحا من التأخي والتآلف بين الشعراء رغم اختلاف مفاهيمهم الفنية وقدراتهم الابداعية ظهرت مدرسة (أبوللو) بصفة رسمية سنة 1932 م ، وإن كان لها بدايات إبداعية ونقدية قبل ذلك. -سميت هذه المدرسة باسم مدرسة [أبوللو] لشدة تأثرهم بالثقافة الأجنبية التي جعلتهم يأخذون كلمة [أبوللون] من اليونان وهو اسم لإله النور والشعر والموسيقى عندهم.

عوامل ظهور مدرسة أبولو

- :انفراط عقد جماعة الديوان بسبب الخلاف بين روادها.
- تأثر شعراء (أبوللو) بمذهب خليل مطران الرومانسي ، ووجدوا فيه نموذجا للتجديد.
- التأثر بالشعراء الرومانسيين الإنجليز ؛ لأن معظمهم أجادوا اللغة الإنجليزية.
- تأثرهم بشعراء المهجر ولا سيما شعر جبران خليل جبران ، مما جعل شعرهم يتميز بروح عاطفية حادة.
- الإحساس بقوة الشخصية والحرية الفردية.
- تَجَمع روادها على طريق التجديد من خلال إبداعهم متمثلاً في ديوان (الينبوع) لأحمد زكي أبي شادي الذي صدر سنة 1911 م ، وكتب مقدمته (أبو القاسم الشابي) ، وقصيدة (على محمود طه) في الدستور سنة 1918 م . كما صدرت لهم دواوين أخرى فشعروا بضرورة أن تكون لهم رابطة أدبية ، فأصدروا مجلة (أبوللو) سنة 1932م ، وكونوا جمعية (أبوللو) في العام نفسه.

خصائص مدرسة أبوللو من حيث (المضمون)

- 1 - الحنين إلى مواطن الذكريات كقول إبراهيم ناجي:
سألتك يا صخرة الملتقى متى يجمع الدهر ما فرقا؟
- 2 - الاعتماد على التجربة الذاتية والحوار الداخلي كقول إبراهيم ناجي:
رُفِر القلب بجنبى كالذبيح وأنا أهتف يا قلبي انشد
فيجيب الدمع والملضى الجريح لِمَ عُدنا؟ ليت أنا لم نَعُدْ
- 3 - استعمال اللغة استعمالاً جديداً بما تدل عليه من إحياء (كالعطر القمري - والخيال المجنح - والجلسة الخضراء - ووراء الغمام)
- 4 - استعمال الكلمات الأجنبية والأسطورية مثل:
(الكرنفال - الجندول - أوزوريس - إخناتون)
- 5- حب الطبيعة ، والتعلق بجمالها ، والافتتان بها ، وتشخيصها ومناجاتها
وتسمية داوينهم وقصائدهم بما يدل عليها مثل (أطياف الربيع - وأشعة وظلال - والينبوع) لأحمد زكي أبي شادي ،
وأغنيات على النيل لصالح جودت ، وأغاني الكوخ لمحمود حسن إسماعيل ، وأغاني الرعاة لأبي القاسم الشابي .
- 6 - التشاؤم والاستسلام للأحزان والآلام واليأس ، حتى جعل محمود حسن إسماعيل عنوان ديوان له (أين المفر)
- 7 - الشعور بالغربة حتى مع الإقامة في الوطن بين أهل والأصحاب ؛ لاختلاف النظرة إلى الأمور بين الجانبين
كقول الشابي :
يا صميم الحياة كم أنا في الدنـ بين قوم لا يفهمون أناشيـ
يا غريب أشقى بغربة نفسي د فؤادي ولا معاني بؤسي
- 8 - تنوع موضوعاتهم بين الطبيعة والمرأة والأمل والحنين والذكريات ، والابتعاد عن شعر المجاملات والشعر السياسي إلا قليلاً كقول الشابي:
إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القـد
ولا بد ليلاً أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

خصائص مدرسة أبوللو من حيث (الشكل)

- 1-الميل إلى تحرير القصيدة من وحدة القافية، عن طريق تعدد القوافي في القصيدة الواحدة متأثرين في ذلك بشعراء الموشحات الأندلسيين.
- 2-الوحدة العضوية واختيار عنوان للقصيدة.
- 3-الميل إلى الموسيقى الهادئة ، والإكثار من البحور القصيرة والمجزوءة.
- 4-استخدامهم الشعر المرسل الذي لا يلتزم قافية ويستعمل أكثر من بحر.
- 5- حب الطبيعة.

س / هل هناك تناقضاً في حب الطبيعة و الولع بها و بجمالها و في الوقت نفسه الإحساس بالتشاؤم عند شعراء مدرسة أبوللو

ج / لا يوجد تناقض بين الإحساسين ، و يرجع ذلك إلى أن حب الطبيعة و تأملها يؤدي إلى إدراك نهايتها و الحزن عليها فيظهر التشاؤم و الزهرة مثال لذلك فهي نضرة و لكنها قصيرة العمر حتى ضرب بها المثل فقل : عمر الزهرة.

6- ذاتية التجربة الشعرية

يعد النقاد أن الإيمان بذاتية التجربة الشعرية ، واستعمال اللغة استعمالا جديدا من أهم سمات مدرسة أبوللو. المراد بذاتية التجربة أن يعيشها الشاعر أو يتمثلها حين يقرأ عنها، وهم يستعملون اللغة استعمالا جديدا في إحياءاتها وتصويرها مثل(الأريج الناعم الخيال المجنح -- الشفق الباكي) .

مقارنة بين مدرسة مطران والديوان وأبوللو

*** تتفق المدارس الرومانسية (مطران - الديوان - أبو اللو) في عدة أمور منها:**

- 1-التجديد في موضوعات الشعر بعيداً عن شعر المناسبات والمجاملات ومحاكاة القدماء.
- 2 -الصدق في التجربة الشعرية الذاتية ، والميل إلى الحزن والتشاؤم.
- التجديد في قوالب الشعر بالميل إلى نظام المقطوعة والشعر المرسل
- رسم الصور الكلية وابتكار الصور الجزئية.
- الوحدة العضوية المتمثلة في وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي.

*** ولكنها تختلفان قليلاً في بعض الجوانب:**

- 1 - فمدرسة مطران تحافظ على الوزن والقافية واللفظ العربي الأصيل، والتأثر بالخيال القديم وجودة الصياغة ، فهي تمثل مرحلة انتقالية من التقليد الذي تسير عليه مدرسة الإحياء ، والتجديد الواضح في الرومانسية والواقعية.
- 2 - ومدرسة الديوان تغرق في اليأس والتشاؤم والخيال الحزين ، وتجدد في القالب الشعري باتباع نظام المقطوعة والشعر المرسل.
- 3 - ومدرسة أبوللو تجدد في استخدام الألفاظ ، وتميل إلى الموسيقى الهادئة والبحور القصيرة والمجزوءة ، والحنين إلى مواطن الذكريات وعشق الطبيعة.

XX

الشاعر إبراهيم ناجي (شاعر الأطلال)

حياته و نشأته

إبراهيم ناجي بن أحمد ناجي بن إبراهيم القصبي ، شاعر مصري ولد في **31** ديسمبر عام **1898** م في حي شبرا في القاهرة، لأسرة القصبي المعروفة بتجارة الخيوط المذهبة، عمل والده في شركة البرق (التلغراف)، وهي شركة إنجليزية، يوم كانت مصر تحت الهيمنة البريطانية، فأجاد اللغة الإنجليزية، وتمكن من الفرنسية والإيطالية، وكان شغوفاً بالمطالعة، وامتلك في بيته مكتبة حافلة بأهميات الكتب، فنشأ ابنه إبراهيم على حب المطالعة، وشجعه أبوه على القراءة، وكان يهدي إليه الكتب، فأثقت العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية، والتحق في عام **1904** بمدرسة والده محمد علي (روضة أطفال)، ثم انتقل إلى مدرسة باب الشعرية الابتدائية (**1907 - 1911**)، لينتقل بعد ذلك إلى المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا، إذ أتم مرحلة الدراسة بها محرراً شهادة البكالوريا، وفي عام **1916** التحق بمدرسة الطب السلطانية (كلية الطب في جامعة القاهرة الآن).

****إبراهيم ناجي بعد التخرج****

تخرج ناجي في مدرسة الطب عام **1923** ، ثم شغل عدة مناصب فقد عين طبيباً في وزارة المواصلات ، ثم في وزارة الصحة ، و بعدها عيّن مراقباً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف .
وقد عاش في بلدته -أول حياته- المنصورة وفيها رأى جمال الطبيعة وجمال نهر النيل فغلب على شعره -شأن شعراء مدرسة أبولو- الاتجاه العاطفي . وأصيب بمرض السكر في بداية شبابه فتألم كثيراً لذلك وتوفي عام **1953** .

****المصادر التي أخذ منها ناجي****

وقد نهل من الثقافة العربية القديمة فدرس العروض والقوافي وقرأ دواوين المتنبي و ابن الرومي و أبي نواس وغيرهم من فحول الشعر العربي ، كما نهل من الثقافة الغربية فقرأ قصائد شيلي و بيرون وآخرين من رومانسيي الشعر الغربي .

****حياته الشعرية واتجاهاته الفنية****

(علاقته مع جماعة أبولو)

تفتحت موهبة إبراهيم ناجي الشعرية باكراً ، فقد نظم الشعر وهو في الثانية عشرة من العمر ، وشجعه والده عليه ، وفتح له خزائن مكتبته ، وأهداه ديوان شوقي ثم ديوان حافظ وديوان الشريف الرضي ، ومن شعره في الصبا قصيدة قالها وهو في الثالثة عشرة من عمره ، عنوانها "على البحر" ، وفيها يقول:

إني ذكرتكم باكياً والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهي تغرب شبه دامعة العيون
والبحر مجنون العباب يهيج ثائره جنوني

بدأ حياته الشعرية حوالي عام **1926** عندما بدأ يترجم بعض أشعار الفريد دي موسييه و توماس مور شعراً وينشرها في السياسة الأسبوعية ، وانضم إلى مدرسة أبولو عام **1932**م التي أفرزت نخبة من الشعراء المصريين والعرب استطاعوا تحرير القصيدة العربية الحديثة من الأغلال الكلاسيكية والخيالات والإيقاعات المتوارثة . في شهر سبتمبر من عام **1932** صدر العدد الأول من مجلة جمعية أبولو ، وكان رئيس تحريرها أحمد زكي أبو شادي ، وقد اشترك إبراهيم ناجي مع أحمد زكي أبو شادي في إصدار المجلة ، وفي العدد الثاني من المجلة تم الإعلان عن تأسيس جمعية أبولو الشعرية وفي **10** أكتوبر من العام نفس اجتمع لفيف من الأدباء في كرمة ابن هانئ ، وفيهم إبراهيم ناجي ، وانتخب أحمد شوقي رئيساً للجمعية ، ولكنه توفي بعد أربعة أيام ، فخلفه نائبه مطران خليل مطران ، وكان إبراهيم ناجي من الأعضاء المؤسسين ، وبعد أقل من عام جرت انتخابات جديدة في **22** سبتمبر عام **1933** وانتخب مطران رئيساً وأحمد محرم وإبراهيم ناجي وكيلين وأحمد زكي أبو شادي سكرتيراً .

هدفت هذه الجماعة إلى البعد عن الأغراض التقليدية للشعر والاتجاه للذاتية أي تعبير الشاعر عن مكنوناته بصورة أكثر عمقا كذلك الابتعاد عن أدب المناسبات والتحرر من الصنعة والتكلف ، وعلى صفحات المجلة نشر إبراهيم ناجي معظم ما كتب من شعر وما ترجم ، وكان من أشهر ما ترجمه قصيدة "البحيرة" للشاعر الفرنسي لامارتين وقصيدة "أغنية الريح الغربية" للشاعر الإنجليزي الرومنتيكي شيلي ، وقد صدر من المجلة خمسة وعشرون عدداً من سبتمبر **1932** إلى ديسمبر **1934** ، ثم توقفت عن الصدور .

اشتهر ناجي بشعره الوجداني ورأس رابطة الأدباء في مصر في الأربعينيات من القرن العشرين وعرف عنه تأثيره بالشاعر مطران خليل مطران وأحمد شوقي .

****الانتاج الشعري وهجوم طه حسين والعقاد****

كان أول ما صدر لإبراهيم ناجي هو ديوان (وراء الغمام) الذي نشرته له جماعة أبولو عام **1934**، ويغلب عليه الحزن والتعبير عن الحب المحروم، ويضم بعض القصائد المترجمة، وقُوبل هذا الديوان بهجوم قاسٍ من النقاد، ولاسيما طه حسين وعباس العقاد، فقد نقده طه حسين نقداً مرّاً في كتابه "حديث الأربعاء" واصفاً شعره بأنه ذو جناح ضعيف لا يقدر على التحليق وفضل عليه الشاعر علي محمود طه الذي وصفه بأنه مهياً ليكون جباراً في فنّه، أمّا العقاد فكان أكثر حدّةً وغنفاً، فوصف شعر ناجي بالتصنع والمرض بل لم يكتف بهذا الوصف فاتّهم ناجي بسرقة الشعر. ولعلّ هذا النقد القاسي الذي تعرّض له ناجي والذي كاد بسببه أن يهجر الشعر كان سبباً رئيسياً في قلّة الدواوين الشعريّة التي أصدرها في حياته، إذ لم يصدر له سوى ديوان واحد بعد ذلك وهو ديوان "ليالي القاهرة" الذي صدر عام **1944** -مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة وطبع في مطبعة الفكرة - القاهرة **1950**، ويقصد بليالي القاهرة ليلي الحرب العالمية الثانية، التي نشبت أواخر عام **1939** وهو يعبر فيها عن كراهيته للحرب التي حرمته من سهر الليالي ونشرت له دار المعارف بعد وفاته ديوانه الثالث: (الطائر الجريح) عام **1957**، وفي سنة **1961** أصدرت وزارة الثقافة المصريّة "ديوان ناجي" وهو ديوان "شامل" ضمّ دواوين ناجي الثلاثة، فضلاً عن بعض القصائد المتناثرة التي لم ترد في أيّ من الدواوين السابقة. وقد قام بجمعه كلّ من الدكتور أحمد هيكّل، أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم وقتها، والشاعرين؛ أحمد رامي وصالح جودت بالإضافة إلى شقيق الشاعر، محمد ناجي. ثم أصدرت دار العودة في بيروت عام **1986** ديوان إبراهيم ناجي، وقد ضم دواوينه الثلاثة، وبرغم الإنتاج الشعري القليل للشاعر مقارنة بمعاصريه، إلا أنه لم يكتف بالشعر فقط، فقد كانت له نشاطات في الترجمة، حيث قام ناجي بترجمة بعض الأشعار عن الفرنسية لبودلير تحت عنوان (أزهار الشر)، وترجم عن الإنجليزية رواية (الجريمة والعقاب) لديستوفسكي، وعن الإيطالية رواية (الموت في إجازة)، كما نشر دراسة عن شكسبير، وقام بإصدار مجلة حكيم البيت، وألّف بعض الكتب الأدبية مثل مدينة الأحلام وعالم الأسرة وغيرهما. لقد كان ناجي دائماً محل انتقاد من آراء تعيب عليه قلّة روح الإيمان والاعتماد على الله للعيش مطمئن النفس بدلاً من الشعور بالملل من الحياة والأحياء، وقد تميز الشاعر في رأي البعض بالنزعة الروحية الأشبه بالصوفية وتبرز في كثير من التعبيرات التي استخدمها مثل (جعلت النسيم زادالروحي) (أسكر نفسي) (صحا القلب منها). أما الشاعر نفسه فقد هجا كثيراً أولئك الذين يكلفون القراء الاطلاع على أشعارهم الضعيفة ممن يصفهم بعدم الموهبة.

****إبراهيم ناجي في أذهان الأدباء والنقاد****

لقبه الشعراء من أبناء جيله بشاعر الأطلال نسبة للملحمة الكبيرة المعنونة بهذا العنوان.

- آراء النقاد بالشاعر

* الدكتور نعمات أحمد فؤاد: "كان ناجي سريع الانفعال كثير الأوهام قلق الظنون طاغي الحس رفاف النفس هفاف المشاعر، وكلها عوامل تظهر أثرها في صاحبها في كل ما يصدر عنه". الأمير عبد الله الفيصل: "يعد ناجي من أبرز الشعراء الذين أقرأ لهم واحبهم".
* الناقد مصطفى يعقوب عبد النبي "على الرغم من أنّ جماعة "أبوللو" والتي تعدّ من أبرز الظواهر الأدبية في تاريخ الأدب العربي المعاصر، قد ضمّت عشرات الأسماء من الشعراء العرب، إلا أن إبراهيم ناجي يقف في مقدّمة تلك الأسماء

*الناقد الشهير مصطفى عبد اللطيف السحرتي: "كان ناجي ظاهرةً شعريّةً فريدةً، بهرت بينتنا الأدبية في مطلع الثلث الثاني من هذا القرن، شاعريّةً مجدّدةً نفرت من القوالب القديمة؛ شاعريّةً غنائيّةً وجدانيّةً مبدعةً".
*الدكتور محمد مندور في معرض تعليقه على قصيدة ناجي الشهيرة "العودة" حيث يقول: "هذه القصيدة التي أحسبها من روائع النغم في الشعر العربي الحديث، على الرغم من كونها تندرج تحت فن عربيّ قديم، وهو فن بكاء الديار. ومع ذلك امتازت بالجدة والجمال

*الدكتور شوقي ضيف: "كلّ شعر ناجي رومانسيّ خالصٌ، وأخرج الشعر من باب الرؤية والخيال إلى باب الحقيقة والتجربة الواقعة".

صدرت عن الشاعر إبراهيم ناجي بعد رحيله عدة دراسات مهمة، منها: إبراهيم ناجي للشاعر صالح جودت ، و ناجي للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، كما كتبت عنه العديد من الرسائل العلمية بالجامعات المصرية

*** العودة ***

هذه الكعبةُ كنّا طائفياً فيها	والمصلّين صباحاً ومساءً
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها	كيف بالله رجعنا غرباء
دارُ أحلامي وحبي لقيتُنا	في جمود مثلاً تلقى الجديدُ
أنكرتُنا وهي كانت إن رأيتُنا	يضحك النورُ إلينا من بعيدُ
رفرف القلبُ بجنبي كالذبيحُ	وأنا أهتف: يا قلب اتنّد
فيجيب الدمعُ والماضي الجريحُ	لِمَ عُدنا؟ ليت أنا لم نعد !
لِمَ عُدنا؟ أولم نطو الغرامُ	وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلامُ	وانتهينا ل فراغ كالعدم؟!
أيها الوكز إذا طار الأليفُ	لا يرى الآخرُ معني للمساء
ويرى الأيام صُفراً كالخريفُ	نائحات كرياح الصّحراء
أه مما صنع الدهرُ بنا	أَوْ هذا الطللُ العابس أنت !
والخيالُ المطرقُ الرأس أنا؟	شَدَّ ما بنتنا على الضنك وبنت !
أين نأديك وأين السمرُ	أين أهلك بساطاً وندامى
كلّما أرسلتُ عيني تنظرُ	وثبَ الدمعُ إلى عيني وغام
مَوطِنُ الحسن ثوى فيه السأمُ	وسرّت أنفاسه في جوّه
وأناخ الليلُ فيه وجثمُ	وجرتُ أشباحه في بهوّه
والبلَى! أبصرته رأي العيانُ	ويداه تنسجان العنكبوتُ
صحتُ يا ويحك تبدو في مكانُ	كلُّ شيءٍ فيه حيٌّ لا يموتُ
كلُّ شيءٍ من سرور وحزنُ	والليالي من بهيج وشجي
وأنا أسمع أقدامَ الزمنُ	وخطى الوحدة فوق الدرج
رُكني الحاني ومغناي الشفيقُ	وظلال الخلد للعاني الطليحُ
علم الله لقد طال الطريقُ	وأنا جنّتك كيما أستريح
وعلى بابك ألقى جعبتي	كغريب أب من وادي المحنُ
فيك كفّ الله عني غربتي	ورسا رَحلي على أرض الوطن !
وطني أنت ولكني طريدُ	أبدى النفي في عالم يؤسي !

فإذا عدتْ فللنجوى أعودُ ***** ثم أمضي بعدما أفرغ كأسِي !

شرح أبيات من قصيدة العودة**

دارُ أحلامي وحبيّ لقيتُنا ***** في جمود مثلما تلقى الجديدُ
- إن هذه الدار التي كانت مسرحاً لأحلامي وحبي عندما عدت إليها استقبلتني بصمت وجمود كأنها تستقبل شخصاً غريباً .

أنكرتُنا وهي كانتْ إن رأيتُنا ***** يضحك النورُ إلينا من بعيدُ
- لقد تجاهلتني هذه الدار التي كانت فيما مضى من الأيام تستقبلني بفرحة عارمة وأنوار مشرقة .
رفرفَ القلبُ بجنبِي كالذبيحُ ***** وأنا أهتف: يا قلبُ اتننُ
- عندئذ شعرت بالحزن والألم فكان قلبي يخفق كطائر مذبوح فخفت عليه فقلت له تمهل أيها القلب .
فيجيب الدمعُ والماضي الجريحُ ***** لِمَ عُدتُنا؟ ليت أنا لم نعد !

- أجابتنِي دموع عيناِي وذكريات الماضي المجروح بمرارة الواقع الحاضر وكل منهما يتمنى أنه لم يعد لهذه الدار .
لِمَ عُدتُنا؟ أو لم نطوِ الغرامُ ***** وفرغنا من حنين وألم

- لماذا عدنا إلى هذه الدار التي مع الأيام نسيت حبنا وخلصنا مما كان من حنين إليها .
ورضينا بسكون وسلام ***** وانتهينا لفراغ كالعدم؟!
- لقد قبلنا هذا الواقع بسكونه وجموده إلى أن وصلنا إلى فرا مطبق مؤلم
أيها الوكرُ إذا طار الأليفُ ***** لا يرى الآخرُ معنًى للمساء

- أيتها الدار لقد غادرك حبيبك وصاحبك الذي لم يشعر بعدك بلذة الحياة في هذا الفضاء المرحب .
ويرى الأيام صُفراً كالخريفُ ***** نائحات كرياح الصَّحراء
- فأصبح حزينا كئيبا وكذلك أصبحت أيامه أوراق خريف صفراء وتصدر عويلا كأنها رياح صحراء واسعة .
أه مما صنع الدهرُ بنا ***** أو هذا الطللُ العابس أنت !

- إنني أتألم وأتوجع مما فعلته الأيام بنا لقد تبدلت أيتها الدار فأصبحت آثارا متبقية وكنت داراً عامرة .
والخيالُ المطرقُ الرأسُ أنا؟ ***** شدَّ ما بثنا على الضنك وبث !
- لقد انحنيت برأسي أنظر إلى الأرض وأتذكر كم من الأيام والليالي قضيتها معك في عيش صعب وفقير متقع صعب

أين ناديمُ وأين السمرُ ***** أين أهلوكَ بساطاً وندامي
- أين تلك الأمسيات الجميلة التي نتسامر فيها مع الأحبة بسرور وفرح .

كلّما أرسلتُ عيني تنظرُ ***** وثبَ الدمعُ إلى عيني وغاما
- إنني كلما تذكرتها تمتلئ عيناِي بالدموع إلى أن تصبح الرؤية ضعيفة عندي بسبب البكاء الشديد .
مَوطِنُ الحسن ثوى فيه السامُ ***** وسرت أنفاسُهُ في جوه
- إن هذه الدار كانت مسكناً للجمال والفرح والسعادة أما اليوم فقد وجدتُها مكاناً سيطر الضجر والملل عليه .
وأناخ الليلُ فيه وجثمُ ***** وجرتْ أشباحُهُ في بهو
- وأما الليل فقد جللها بظلمته ناشراً فيها الأشباح المخيفة المفزعة .

والبلى! أبصرته رأي العيان ***** ويدها تنسجان العنكبوت

- أما الدمار والخراب فقد شاهدته بأم عيني في هذه الدار التي أصبحت موحشة يعيش فيها العنكبوت .

صحت ! يا ويحك تبدو في مكان ***** كل شيء فيه حي لا يموت !

- عندئذ قلت مخففاً حزني وألمي : رفقا أيها الشاعر فأنت في مكان كل من فيه وما فيه قد تغير

كل شيء من سرور وحزن ***** والليالي من بهيج وشجي

- إن كل شيء في هذه الدار قد تغير وتبدل فالفرح أصبح حزناً والابتهاج أصبح شجناً .

وأنا أسمع أقدام الزمن ***** وخطى الوحدة فوق الدرج

- إن الأيام والوحدة والفراغ كل منهم قد ترك في هذه الدار آثاراً وعلامات .

رُكني الحاني ومغناي الشفيق ***** وظلال الخلد للعاني الطليخ

- أيها البيت الحنون يا من كنت ملعباً لنا أيام الطفولة لقد كنت جنة الخلد لنا فيك نجد الراحة بعد التعب .

علم الله لقد طال الطريق ***** وأنا جئتكم كيما أستريح

- لقد علم الله أن مشوار غربتي كانت طويلة فأثيتك بعد هذا الطريق الطويل كي أستريح .

قصيدة العودة للشاعر إبراهيم ناجي، موضوعها قديم في الشعر العربي؛ فموضوعها هو بكاء الأطلال، ذلك

الغرض الذي قال فيه الجاهليون أحلى شعرهم وتبعهم بعد ذلك شعراء العرب في العصور المتوالية. وكان القدماء

يكون الأطلال في مقدمات قصائدهم، ويخلصون منه إلى التغزل في الحبيبة الراحلة، ووصف جمالها وتصوير الحزن

لفراقها، ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى ما شاء من أغراض المديح أو الفخر أو الوصف أو غير ذلك، أما عودة ناجي

فهو بكائية مختلفة عن البكائيات المعروفة في الشعر القديم.

إن بكاء ناجي لأطلال حبيبته لم يجرى مقدمة لقصيدة تتعدد أغراضها وموضوعاتها، بل هو القصيدة كلها. ولم يسلك

ناجي مسلك القدماء في التغزل بمحاسن الحبيبة وذكر سواد العيون وحمرة الخدود، وجمال القدود، ولم يسر في تلك

الطرق المطروقة التي سار عليها أجيال من الشعراء قبله، لقد صور ناجي في قصيدته قصة حب غالها الزمن، وبدد

واقعه، لكنها ظلت حية في قلب الشاعر تعذبه وتبكيه وتلوعه وتضنيه.

ولقد لخص الشاعر قصته في أول بيتين:

هذه الكعبة كنا طائفها والمصلين صباحاً ومساءً

كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء

البدء والنهاية، والوصل الهجر، السعادة والشقاء، الأمن والغربة.

• ضمن الشاعر مطلع قصيدته (البيتين السابقين) كل هذه المعاني المتناقضة.

• وأخذ بعد ذلك يفصل الأحداث ويجتر المشاعر، ويعدد الصور.

• فهذه الكعبة هي دار أحلامه، وموطن حبه تلقاه اليوم في جمود وهمود، وعبوس، وتكره كأن لم يكن بينه وبينها سابق

ألفة وغابر مودة، وهي التي كانت من قبل تهش للقاءه وتبش، وتسعد برويته وتضيء.

• هذه المفاجأة التي وجدها الشاعر من دار أحبته أذهلت عقله، وجرحت فؤاده، فرفرف القلب كالطائر المذبوح،

وأخذ الشاعر يهدده ويهدنه ويخاطبه: اتند. فيتظاهر الدمع والماضي والقلب مظاهرة حزينة آسية رافضة (لم عدنا ليت

أنا لم نعد).

• ويلتفت الشاعر إلى كعبته ودار أحبته فيسألها عن الأليف الذي ترك عشه وماذا يصنع أليفه بعد ذلك.

• ويتوجع الشاعر بعد ذلك متعجباً من المصير الذي آل إليه حبه، ومن الحال التي أصبحت عليها دار الأحبة،

ويسأل عن ذلك الماضي الجميل الذي ذهب والأحلام الحلوة التي ضاعت.

• وكلما أجال الشاعر نظره في البيت أو حوله، انهمرت دموعه لما يرى من السأم والبلى والظلام والخراب في

هذه الدار التي كانت موطناً للحسن والحب والحياة.

• ويستحضر الشاعر صورة الماضي فيصيح متعجباً فزعاً: كيف تمتد به البلى إلى هذا المكان، وذاكريات ماضيه

لا تزال حية في قلب الشاعر وتزلزل الأحزان كيانه، فيجتو ليخاطب ظله بحنو ورفق، معلناً أنه ركنه ومغناه، وظله

ومكان راحته قصده ليلقي على بابه حقائبه، ويستريح عنده من أسفاره وغربته ولينجو في رحابه من محنته.

• لقد كان هذا الطلل هو وطن الشاعر الذي إليه يأوي قلبه وفي رحابه تستريح نفسه، وعلى أرضه يحط رحاله، لكنه اليوم طريد، حكم عليه بالنفي الأبدى في عالم اليأس والشقاء فإذا عاد يومًا، فإنه يعود للنجوى، ووفاء للذكرى، ثم يرجع بعد سكب العبرات -عائدًا إلى عالم نفيه- معذب القلب محمل النفس بالحسرات، هذه هي عودة ناجي لدار حبه وكعبة قلبه وبالها من عودة.

*** وحدة القصيدة ***

• تحققت الوحدة العضوية في قصيدة (العودة) تحققًا تامًا؛ فالقصيدة ذات موضوع واحد وتصور تجربة نفسية ناضجة، وتنمو القصيدة نموًا متدرجًا من البداية للنهاية مستوعبة تفاصيل التجربة وجزئياتها.

• ويبدو أن حذف أبيات من القصيدة أو تغيير مكانها يخل ببنائها، ويشوه حسناتها، فهي بناء متلاحم الأجزاء، لا تقوم على وحدة البيت، كما هو الحال في القصيدة التقليدية.

• وناجي واحد من الجيل الذي تلا العقاد وجيله، وأفاد ناجي وأصحابه من دعوات التجديد التي كانت مطروحة بصوت عال إبان العقود الأولى من القرن العشرين، وهو منتسب إلى جماعة أبولو، والروح الرومانسي غالب على شعره، ولعل هذه القصيدة تدل بوضوح على ذلك.

• والوحدة العضوية -كما تعرف- ثمرة من ثمار التجديد في الشعر، وأثر من الآثار التي لحقت الشعر العربي بعد الاتصال بالثقافة الغربية الحديثة، ومحاولة الاهتمام بالشعر الغربي في كثير من النزعات التجديدية.

• ولقد وفق ناجي في المواءمة بين المضمون الذي ملأ به قصيدته والوسائل الفنية والتعبيرية والتصويرية التي استخدمها في هذه القصيدة، فأسهم ذلك في تجلية الوحدة العضوية وتأكيداها إلى حد كبير

*** الصياغة الفنية ***

لا شك في أن الجيل المتأخر من الشعراء -ناجي ورفاقه- انتقل بالشعر نقلة واسعة في مجالي التعبير والتصوير، ولقد اكتسبت اللغة في شعرهم رقة وعذوبة بقدر كبير، ويندر أن تجد في أكثر قصائدهم لفظًا صعبًا أو كلمة تحتاج في معرفة معناها إلى مراجعة المعاجم، ويحسب لهم أنهم يعبرون بالألفاظ الموحية التي تزيد المعنى اتساعًا وعمقًا، وتمتد ظلالها لتضيف إلى الشعر ثراءً إلى ثراء.

• ودراسة قصيدة (العودة) تطلع القارئ على كثير من تفوق ناجي في استخدامه للغة استخدامًا مؤثرًا، وتقوده إلى ما يدل على قدرة الشاعر على الصياغة الفنية الرقيقة العذبة التي تشيع فيها ظلال الألفاظ وإبجاءاتها، وتتعانق خلالها الصور والمجازات، وتؤدي الموسيقى الشعرية فيها دورًا لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

• ويلاحظ أن الشاعر قد نوع في القافية فاستخدم قافية لكل بيتين، مع توحيد القافية بين شطريهما، وقد وفر هذا التنوع للقصيدة ثراءً نغميًا ضاعف من خفتها وعذوبتها، مع ما لكل قافية من أثر معنوي في الموضع الذي وردت فيه.

*** مواطن الجمال في القصيدة ***

تأخذ قصيدة (العودة) مكانًا مرموقًا في ديوان الشعر العربي الحديث، ويعدّها كثير من النقاد من أجمل الشعر وأصدق وأرقه، ولقد حفلت القصيدة بكثير من ملامح الجمال في التعبير والتصوير، ومن ذلك:

• ذلك المطلع المهيب الذي يفتح نافذة على نفس الشاعر ويشير إلى صدق حبه وقيمة دار أحبته في نفسه، فهي كعبته التي كان يطوف بها ويتقرب إلى الحبيب عندها ويعشق في رحابها الحسن والجمال.

• وإن كنا لا نوافق -بمقتضى الذوق الإسلامي- على أن تستخدم الكعبة المشرفة رمزًا في مثل هذه المواطن التي هي بالطبع لا تسمو إلى منزلة الكعبة ولا تكاد، والأمر كذلك في التعبير بالعبادة والسجود.

• المقابلة بين الحاضر الكئيب الذي صدم الشاعر عندما رأى دار الأحبة، والماضي السعيد الذي يعرفه الشاعر لهذه الدار. البيتان (3، 4).

• هذه المجازات المترابطة التي تصور المعنوي في صورة المحسوس وتجسده ثم تشخصه وتثبت له صفات الأحياء؛ من الحركة والإحساس على نحو عجيب، فالنور يضحك، والدار تنكر، والقلب يرفرف، والدمع يجيب، والماضي يتكلم. ويستمر الشاعر على هذا النحو في التصوير البديع، فيجسد البلى حتى يدعي أنه أبصره رأي العين، ويثبت له يدين تنسجان، ويجسد السأم، ويثبت له أنفاسًا، ويصور الليل جاثمًا، وأشباحه تجري، ويثبت للزمن أقدامًا يسمع وقعها وللوحدة خطى ... إلى غير ذلك من الصور النابضة بالحياة.

• الأساليب المتنوعة بين الاستفهام والتعجب والتوجع والنداء من مثل قوله: لم عدنا؟ – ليت أنا لم نعد – أيها الوكر - آه مما صنع الدهر بنا - أو هذا الطلل العابث أنت؟ - شد ما بتنا على الضنك وبت – أين ناديك؟ ... إلى آخر هذه الأساليب.

• الألفاظ الموحية التي نجح الشاعر في توظيفها للدلالة على تجربته النفسية الصادقة وتأمل هذه الألفاظ في مواقعها: الكعبة – المصلين – سجدنا – عبدنا – غرباء – جمود – يضحك النور – رفر – اتند – الجريح – الأليف – صفرًا – نائحات – الصحراء – الطلل العابث – الخيال المطرق الرأس – الضنك – وثب الدمع – السأم – الليل – أشباح البلى – العنكبوت – حي – ركني – الطليح – غريب – وادي المحن – وطن – طريد – أبدي النفي – عالم بؤسي - للنجوى أعود – أمضي – أفرغ.... وليس من العسير على المتذوق أن يهتدي إلى جمال هذه الإيحاءات ومقدار ما تضيفه من ثراء وغنى إلى المعنى الذي تدل عليه الألفاظ والعبارات.

• التشبيهات المبتكرة كما في قوله: ويرى الأيام صفرًا كالخريف نائحات كرياح الصحراء • الموسيقى العذبة الأسيرة الناشئة عن تنوع القوافي وسهولتها ووقوعها في مواقعها. هذا؛ ويمكن للمتذوق أن يهتدي إلى غير ما ذكر من مواطن الجمال في هذه القصيدة وفي غيرها. ويمكن أن يهتدي دارس إلى ما لم يهتد إليه غيره حسب قدرته على التعاطف مع النص وفك رموزه وإدراك أسرار الجمال فيه، وفوق كل ذي علم عليم.

*** دراسة نقدية لقصيدته العودة ***

إن النقد النصي يدور على لغة النص بوصفه عنصرًا أساسيًا لتشكيله. و هذا النمط من النقد يستمد قواعده الأساسية من اللسانيات ، و يبقى الشكليون الروس ثم البنيويون هم المصدر الرئيس لنظريات النقد الصوري و لشروحاته وتطبيقاته.

من هذا النقد سوف أسير في هذا التحليل وفق المنهج البنيوي الذي يجعل النص مادته ومساحته، ثم (هو يربط النص برابط ممتد من العلاقات المتداخلة في النص) وهذا كله في سبيل تفسير النص واستخراج دلالاته. ولكل منهجه في التحليل البنيوي ، فبعضهم يميل لجعل دلالات القصيدة في نفسها فقط من واقع الدلالات اللغوية الموجودة فيها بعيدا عن الإطار الخارجي للقصيدة ، ومنهم من يحاول إيجاد غور مصطلحات البنى ذات المعاني التي تحيط بالشاعر. وأتصور أن كل هذه الطرق في سبيل تفسير مقصد القصيدة ، وتوضيح دلالاتها للقارئ ، فلا ضير إن اتبعنا سبيلا مادام هناك استخراج لبنى أساسية للقصيدة نفسها ، وكل ذلك وفق المنهج البنيوي.

*** التحليل النقدي ***

يمكننا عند التأمل في القصيدة أن نستخرج بنى قد ظهرت في هذا النص ، فمثلا بنية القوة والضعف ظاهرة في النص، ويتجلى ذلك في تعبير الشاعر لحاله وحال دار حبيبته ، حيث نرى كلمات تدل على الضعف الذي يعيشه الشاعر ، وقوة الحب الذي سيطر عليه ، مما جعله يعبر عن نفسه بعبارات تدل على ذلك ، فإشارته لذاته كالذبيح ، ولومه لنفسه على العودة لتلك الدار ، التي لم يشاهد فيها حبيبته ، بل ذكرته بالذكريات الجميلة التي زادت من حسرته وألمه دليل على ضعفه. كما نجده يصف نفسه بالوحدة ، والوحدة ضعف ، والاجتماع قوة ، كما نجد دموعه تعبير عن ضعفه البالغ

الذي هو متنفسه الوحيد ووصفه لنفسه بالعاني والطلّيح ففيها الضعف جليا ، إذ إن المتعب والمرهق يحتاج إلى مساعدة ، والمحتاج ضعيف ، ثم كل هذا الوصف لنفسه الدال على ضعفه يكمن وضوح السيطرة القوية العاطفية التي تملكها حبيبته ، إذ استطاعت أن تسيطر على عواطفه وعلى ذاته ، فكل هذا الوصف خاص بدار حبيبته فكيف بحبيبته نفسها أن سيطرة القوة العاطفية من حبيبته عليه جعلته يرى الحياة بوجه آخر ، فهل الموت يشاهد في جنبات الدار؟ ثم هل عدم وجود حبيبته في الدار أصبحت الحياة لا معنى لها ؟ إن ذلك يكشف لنا القوة التي تسيطر على الإنسان سيطرة كلية حيث يصبح لا يرى سوى ذلك الحبيب في هذه الحياة. وإن التصادم النفسي للشاعر مع فعله دليل على سيطرة قوى كامنة عليه وذلك حينما يصف الشاعر وصوله لدار حبيبته ، حيث أنه حين عاد إلى الدار ، بدأت مشاعره النفسية تعاتبه على المجيء لتلك الديار لأن هذه الديار لم تزد إلا لوعة وشوقا للحبيبة.

كما نجد بنية أخرى في النص وهي بنية الحزن ، ويعبر ذلك بالفاظ كالليل الذي ثوى في موطن الحبيبة ، والليل هو الظلام والظلام منبع الانغلاق وعدم الحرية ، لأن انعدام الضوء فيه انحباس الحرية التي هي جالبة للحزن. كما نجده أيضا يشبه الأيام بالخريف ، والخريف رمز للألم والحزن ، كما أيضا نجد هذا الحزن في ذكره للشجن والظلال والغربة والنجوى.

ولعل المتتبع لجل القصيدة يدرك أن الشاعر فيها قد غلب على نفسه الحزن ، فتارة يعبر بالدمع وتارة بالذكريات التي وصفها بالجرح الذي هو مكمن الحزن والألم، ثم يعاتب الأيام التي أصبحت صفرا وليس لها معنى في حياته. ثم نجده يصف نفسه بأنه طريد عن هذا الوطن ، وقد أخذ هذا الوصف لنفسه تحت شدة الحزن وألمه. ولعل المتتبع للقصيدة يلمح أيضا بنية أخرى وهي : التحول ، وذلك حين ذكره لكلمات تدل على ذلك لعل من أبرزها : الخريف والجديد والأيام والطائر ، فكل هذه الكلمات تدل على التحول والتبدل ، فالخريف فصل من فصول السنة التي تتحول فيه الأشجار عن طبيعتها ، والأيام تتحول وتتبدل وتسير ، كما أن الطائر لا يمكن أن يكون في مكان معين فهو غير ثابت متنقل دائما. فكأنه بهذه المعاني يريد أن يقول أن حال الدار تغيرت وتحولت وأصبحت كالعدم. كما يصف نفسه بالخيال ، والخيال متغير ومتحول ، وكل هذا التحول لأن حبيبته لم تعد في هذا المكان ولم يجدها. كما أن هناك بنية أخرى نلمحها في القصيدة وهي بنية : اليأس ، إذ إن مشاعر الشاعر في هذه القصيدة فيها شيء من دلالة يأس الشاعر من حاله مع حبيبته ، فذكره الموت ووصفه بالأيام صفرا ، دليل على أن الشاعر هنا يوحى بأن حبيبته لن ترجع معه ، لأن الموت انقطاع وتفرق ، فكما أنهم تفرقا فقد ذكر الموت لأنه يكمن في نفسه اليأس الذي قد جعله يربط الموت و حاله مع حبيبته ، فكأنهما لن يرجعا أبدا مثل تفرق الموت.

يمكننا القول بأن بنية القوة والضعف قد سيطرت على القصيدة ، فمحور القصيدة تدور حول ذلك الضعيف الذي يخضع للسلطة القوية عليه وهي حبيبته ، ويبدأ بوصف نفسه بأوصاف تعكس ذلك الضعف المسيطر عليه ، والقوة الجامعة التي أهلكت شعوره وأبعاده النفسية.